سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾

المُزَّمِّلُ: المتلفف بثيابه (النبي ﷺ).

وَرَتِّلِ القُرْآنَ: اقرأه بتمهل، وتبيين حروف.

قَوْلاً ثَقِيلاً: شاقاً على المكلفين (القرآن).

قوله: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ يعني: اقرأه في مهلٍ وتُؤَدةٍ، مع تركيز الانتباه على المعاني، وعندما يفعل المرء ذلك تبتدئ بينه وبين القرآن عملية مزدوجة؛ فمن جهة يكون القرآن بالنسبة إليه خطاباً إلهياً، ومن جهة أخرى لا يزال قلبه يستجيب لكل آية يمر بها من آيات هذا الخطاب، فإذا ذكر القرآن عظمة الله وجلاله، خشع كيان القارئ كله استشعاراً لكبرياء الله وهيبته، وإذا عدّد القرآن نعم الله وإحساناته، امتلأ فؤاد القارئ بمشاعر الشكر والامتنان، وإذا حذّر القرآن من وعيد الله وعقابه، ارتعدت فرائص القارئ وَجَلاً وخوفاً.. وإذا بين القرآن حكماً من أحكام الله، تجدّد عزم القارئ على امتثاله في حياته طاعةً لربه وابتغاءً لمرضاته.

والمراد بـ " القول الثقيل " هو الأمر بالإنذار الوارد في السورة التالية: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ [المدثر] أي تنبيه الناس إلى خطورة قضية الآخرة، وهذا من غير شكٍ أشد الأعمال صعوبة ومشقةً في هذا العالم على الإطلاق، حيث يضطر الداعي في سبيل ذلك إلى

التمسك بالحق الخالص والثبات عليه حتى ولو صار " غريباً " بين ذويه ومن حوله جميعاً ، وهو يُضطر إلى تحمل أذى الناس وإساءتهم؛ إبقاءً على علاقة الداعي والمدعو، بينه وبين المخاطبين حتى اللحظة الأخيرة، كما يلزمه فوق هذا أن يأخذ نفسه بالصبر والإعراض من طرف واحدٍ، تفادياً من أن تنْخدش سمعته كداعٍ إلى الحق بأي حالٍ من الأحوال !!

﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ۝ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ۝ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً ۝ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً ۝ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً ۝ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلاً ۝ ﴾

نَاشِئَةَ اللَّيْلِ: العبادة التي تنشأ به وتحدث.

أَشَدُّ وَطْئاً: ثباتاً للقدم ورسوخاً في العبادة.

وَأَقْوَمُ قِيلاً: أثبت قراءة لحضور القلب فيها.

سَبْحاً: تصرفاً وتقلباً في مهماتك.

وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ: انقطع إلى عبادته تعالى ، واستغرق في مراقبته.

هَجْراً جَمِيلاً: اعتزالاً حسناً لا جزع فيه.

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ: دعني وإياهم فسأكفيكهم.

أُوْلِي النَّعْمَةِ: أرباب التنعم ، ورغادة العيش.

وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً: أمهلهم زمانا قليلاً بعده النكال.

أَنكَالاً: قيوداً شديدة ثقالاً.

وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ: ذا نشوب في الحلق فلا ينساغ.

يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ: تضطرب وتتزلزل (يوم القيامة).

النهوض بدعوة الحق الخالص نهوض بأصعب مهمةٍ وأعسرها إطلاقاً، حيث إن الناهض بها لا يلبث أن يعود في بيئته شخصاً غير مرغوب تماماً، وبالتالي فإن الإله الذي يجده الداعي إلى الحق أنيساً له في وحشته، وكفيلا بأن يكل إليه جميع أموره قرير العين مرتاح البال، هو الله ربه، ومن ثم فهو لا يذكر الله في النهار وحده، وإنما يقف بين يديه تعالى مصلياً ومناجياً في آناء الليل كذلك، والليل هو وقت التفرغ والصفاء والسكون الشامل، إذْ تهدأ فيه الأصوات وتنقطع الحركات، وهو بذلك أنسب الأوقات ليتمكن الإنسان فيه من الإقبال على ذكر الله ومناجاته بتجرد كاملٍ وتركيزٍ ذهني تامٍ، وذلك هو الزاد الحقيقي لمن يسلك في طريق الدعوة الطويل المليء بشتى المصاعب والمتاعب المحفوف بضروب الأهوال والمخاطر..

والداعي الصادق إذا ما أصابه مكروه من جانب المدعو فهو لا يتعرض له، وإنما يندفع نحو الله راجياً منه العون على احتمال الأذى والتثبيت على الجادة، وهو يجنب نفسه مشاعر الانتقام ورد الفعل جهد طاقته، وإن العمل المصحوب بالاستعلاء على نفسية رد الفعل هو الشرط الضروري الوحيد الذي يجعل من شخصٍ ما داعي الحق بمعناه الصحيح.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾

فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

كَثِيباً مَّهِيلاً: رملا متجمعاً – سائلا منهالاً.

أَخْذاً وَبِيلاً: شديداً ثقيلاً وخيم العقبى.

إن الغاية الرئيسية من بعث الرسل هي الفصل بين الحق والباطل ، ولقد تم هذا الفصل قبلئذٍ بين موسى وفرعون، وها هو ذا يتم الآن بين رسول الإسلام وبين كفار قريش، والذين لا يخضعون أمام الداعي إلى الله ، في هذه الدنيا ، عن رضا وطواعية ، فإنما يعرضون أنفسهم لخطر أن يخضعوا لعذاب الله في الآخرة رغم أنوفهم !

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ: شيء منشق في ذلك اليوم لهوله.

أَن لَّن تُحْصُوهُ: لن تطيقوا ضبط وقت قيامه.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ: بالترخيص في ترك قيامه المقدر.

فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ: فصلوا ما سهل عليكم من صلاة الليل.

القُرْآنِ : وفي الصلاة قرآن.

يَضْرِبُونَ: يسافرون للتجارة.

وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ: المفروضة.

قَرْضاً حَسَناً: احتساباً بطيبة نفس.

إن كل ما هو مفروض من الأعمال والتكاليف الدينية قد تم تحديده بحسب استطاعة الإنسان العادي ، غير أن هذه الفرائض والواجبات إنما تدل فقط على النصاب اللازم أوْ القدر الضروري الذي لابد من أدائه لكل إنسان يقر بعبوديته لله ويرجو رحمته ويخشى عذابه، فإن الأعمال المطلوبة منا لا تنتهي عند هذا الحد، بل تتجاوزه إلى أبعد من ذلك بكثير، ولكنها نافلةً، يأتي بها العبد طوعاً من غير إيجاب عليه، كصلاة التهجّد فوق الصلوات الخمس المفروضة، أوْ صدقة التطوع فوق الزكاة الواجبة مثلاً ، وهنا مجال التنافس والمسابقة بين أرباب الطموح والعزائم من الرجال ، فبقدر ما يُكثر المرء من النوافل والطاعات، يزداد نصيبه من ثواب الآخرة وترتفع منزلته عند الله – سبحانه وتعالى !

obeikandl.com